موسوعة الحضارة الاسلامية, القاهرة ١٤٢٦/٢٠٠٥, ص,
İSAM 146441.

146441

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة

(٤)

موسوعة الحضارة الإسلامية

إشراف وتقديم
الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق
وزير الأوقاف

القاهرة
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

موسوعة الحضارة الاسلامية, القاهرة ١٤٢٦/٢٠٠٥, ص,
İSAM 146441.

موسوعة الحضارة الاسلامية, القاهرة ١٤٢٦/٢٠٠٥, ص,
İSAM 146441.

موسوعة الحضارة الاسلامية, القاهرة ١٤٢٦/٢٠٠٥, ص,
İSAM 146441.

موسوعة الحضارة الاسلامية, القاهرة ١٤٢٦/٢٠٠٥, ص,
İSAM 146441.

هيئة تحرير الموسوعة *

أ. د. أحمد فؤاد باشا

نائب رئيس جامعة القاهرة (سابقًا)

أ. د. طه أبو كريشة

نائب رئيس جامعة الأزهر (سابقًا)

أ. د. عبد الله التطاوى

نائب رئيس جامعة القاهرة

أ. د. عبد الستار الحلوجى

أستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة

أ. د. رفعت حسن هلال

أستاذ بكلية العلوم جامعة القاهرة

(*) قام بمعاونة هيئة التحرير كل من السادة :

أ. رجب عبد المنصف
أ. رمضان عبد المطلب
أ. أيمن إبراهيم طاجن
أ. حسن أحمد خليل
أ. محمد عبد الباقى محمد
أ. منير أحمد بيومى
أ. محمد سيد أحمدعلى الدين
أ. أبو مسلم عبد العزيز أبو العطا
أ. رباب على محمد
أ. أحمد بدير إبراهيم

موسوعة الحضارة الاسلامية, القاهرة ١٤٢٦/٢٠٠٥, ص,
İSAM 146441.

موسوعة الحضارة الاسلامية, القاهرة ١٤٢٦/٢٠٠٥, ص,
İSAM 146441.

أسماء السادة المشاركين فى التحرير من العلماء والمفكرين

أ. د. أحمد عبد الرحيم السايح
أ. د. أحمد على طه ريان
أ. د. أحمد فؤاد باشا
أ. د. أحمد يوسف شاهين
أ. د. السيد الشاهد
أ. حازم على ماهر
أ. حمادة الربع
د. حمدى عبد العظيم
د. خالد عزب
أ. رجب عبد المنصف
أ. د. رفعت العوضى
أ. د. رفعت حسن هلال
أ. د. زينب عبد العزيز
أ. د. سيف الدين عبد الفتاح
أ. شريف عبد الرحمن
أ. د. طه مصطفى أبو كريشة
أ. د. عبد الحافظ حلمى محمد
أ. د. عبد الحكيم راضى
أ. د. عبد الرحمن النقيب
أ. د. عبد الستار الحلوجى
أ. د. عبد الصبور مرزوق
أ. د. عبد الفتاح غنيمة
أ. د. عبد اللطيف العبد
أ. د. عبد الله التطاوى
أ. د. عبد الناصر بسيونى

أ. د. علاء الدين كفافى
أ. د. على جمعة
أ. د. على على صبح
أ. د. على مدكور
أ. د. مجدى المهدى
أ. د. محمد الجوادى
أ. د. محمد الدسوقى
أ. د. محمد السيد الجليند
أ. د. محمد المسير
د. محمد حسن غانم
أ. د. محمد رجب البيومى
أ. د. محمد شوقى الفنجرى
أ. د. محمد عمارة
أ. د. محمد فتحى بيومى
أ. د. محمد نبيل غنايم
أ. د. محمود المناوى
أ. د. محمود حمدى زقزوق
أ. مدحت ماهر
أ. د. مى يوسف خليف
أ. د. نادية مصطفى
أ. نبيل محمد بدر
أ. د. نجوى السيد عوض
أ. د. نعمت عبد اللطيف مشهور
أ. ياسمين زين العابدين

* تم ترتيب الأسماء هجائيًا.

موسوعة الحضارة الاسلامية, القاهرة ١٤٢٦/٢٠٠٥, ص,
İSAM 146441.

موسوعة الحضارة الاسلامية, القاهرة ١٤٢٦/٢٠٠٥, ص,
İSAM 146441.

تقديم

للأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق
وزير الأوقاف

لم يعرف التاريخ للعرب قبل الإسلام حضارة ذات بال، وعلى الرغم من أنهم نبغوا فى الأدب نثرًا وشعرًا، وكانوا أرباب فصاحة وبلاغة، فإنه لم تعرف لهم إنجازات حضارية أخرى.

صحيح أنه «كانت لديهم معارف فلكية وطبيعية متصلة بمعارف الكلدانيين والصابئة، ومعارف طبية تجريبية مصحوبة بالرقى والعزائم والتمائم، وأساطير زاخرة بأخبار الجن والغيلان والشياطين، وأمثال وحكم تدل على منازعهم العقلية، وشعر فى الزهد تغلب عليه العناصر الخلقية والروحية»[1].

ولكن ذلك كله لا يعبر عن حضارة بالمعنى الصحيح، فقد كان ما خلَّفوه لنا من تراث عقلى لا يتعدى طور الفطرة، فلم يكن لديهم اهتمام بالتعليل، أو محاربة التقليد والخرافات، أو البحث عن العلاقة بين المقدمات والنتائج، فيما كان منتشرًا لديهم من آراء وأقاصيص.

وعندما جاء الإسلام بعث فيهم حياة جديدة، ونقلهم إلى أفق فسيح من العلم

والمعرفة، وفتح أمامهم الباب على مصراعيه للدخول إلى ميادين الحضارة بشتى وجوهها، ودلهم على أدواتها، وعلى رأسها العلم وتحكيم العقل والتعرف على ما لدى الآخرين من إنجازات حضارية، والإفادة منها؛ فالحكمة ضالة المؤمن، أنَّى وجدها أخذها. ومن خلال ما اشتملت عليه تعاليم الإسلام من قيم دافعة إلى التقدم استطاعوا أن يبنوا حضارة زاهرة امتدت من أقصى الصين شرقًا إلى أقصى الأندلس غربًا، وكانت من أطول الحضارات عمرًا فى التاريخ.

وفى هذا الجو ازدهرت العلوم والآداب والفنون على اختلاف أنواعها(٢)، وراحت العقول الإسلامية تبحث وتنقّب وتبتكر، وواصلت السير إلى أن بلغت الغاية فى التسابق الحضارى، وأصبح للمسلمين حضارة متميزة تُعرف بهم ويُعرفون بها، واستمرت هذه الحضارة ما يقرب من ثمانية قرون تقدم عطاءها الثرى للبشرية.

ومن حق الأجيال الجديدة علينا أن نطلعهم على ما قدمته الحضارة الإسلامية فى جميع المجالات؛ ليقفوا على الإنجازات الحضارية الرائعة لهذه الحضارة، ويزدادوا ثقة بأنفسهم واعتزازًا بحضارتهم، ليواصلوا السير على الدرب، ويسهموا بعلمهم وفكرهم وعطائهم فى إعادة بناء صرح حضارى جديد يواكب العصر، ويضع الأمة الإسلامية مرة أخرى فى مكانها اللائق بها بين الأمم المتقدمة والشعوب المتحضرة، حتى تسهم - كما حدث فى السابق - إسهامًا فعَّالاً فى العطاء الحضارى للبشرية.

ويأتى هذا المجلد الجديد «**موسوعة الحضارة الإسلامية**» بمثابة حلقة جديدة فى سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة التى يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية(٣).

وقد تولى الأخ الفاضل الأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا قيادة الفريق العلمى الذى تولىّ عبء العمل فى هذه الموسوعة من بداية العمل حتى نهايته، وكان لجهود

موسوعة الحضارة الاسلامية, القاهرة ١٤٢٦/٢٠٠٥, ص,
İSAM 146441.

سيادته مع فريق العلماء والباحثين الذين اشتركوا فى هذا العمل العلمى الكبير أبلغ الأثر فى إخراجها على هذا النحو المشرف؛ فلسيادته ولكل من تعاون معه ولجميع العلماء المشاركين فى كتابة المواد العلمية لهذه الموسوعة خالص الشكر وعظيم التقدير، ونسأل الله أن يجزيهم خير الجزاء وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه وفى ميزان حسناتهم يوم القيامة.

ولا يفوتنى أن أُقدم الشكر الجزيل للأخ الفاضل الأستاذ الدكتور/ عبد الصبور مرزوق على ما قدم من نصح وتوجيه ومتابعة.

ونأمل أن يكون فى هذه الموسوعة فائدة لقارئ أو نفع لباحث، وأن تسهم فى تنشيط ذاكرة الأمة للاستفادة من دروس الماضى المجيد وتزداد عزمًا وتصميمًا على مواجهة كل التحديات والتغلب على كل العقبات.

والله ولى التوفيق ...،،

أ. د. محمود حمدى زقزوق

ربيع أول ١٤٢٦ هـ

أبريل ٢٠٠٥م

الهوامش:

١ ـ تاريخ الفلسفة العربية، للدكتور/ جميل صليبا ص ١٦/١٥ دار الكتاب اللبنانى ١٩٧٣م. انظر أيضًا دروس فى تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية لعبده الشمالى ٥/٤ بيروت ١٩٥٦م.

٢ ـ راجع كتابنا ـ مقدمة فى الفلسفة الإسلامية ـ دار الفكر العربى ٢٠٠٣م صـ ١٩.

٣ ـ سبق أن صدر من هذه السلسلة فى الأعوام القليلة الماضية الموسوعات التالية: ـ الموسوعة الإسلامية العامة، الموسوعة القرآنية المتخصصة، موسوعة علوم الحديث الشريف، موسوعة أعلام الفكر الإسلامى.

موسوعة الحضارة الاسلامية, القاهرة ١٤٢٦/٢٠٠٥, ص,
İSAM 146441.

موسوعة الحضارة الاسلامية, القاهرة ١٤٢٦/٢٠٠٥, ص,
İSAM 146441.

كلمة التحرير

هذه هى «موسوعة الحضارة الإسلامية» التى يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى إطار سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة، بعد أن قدم فى الأعوام القليلة الماضية أربع موسوعات هى : «الموسوعة الإسلامية العامة»، و «الموسوعة القرآنية المتخصصة»، و «موسوعة علوم الحديث»، و «موسوعة أعلام الفكر الإسلامى».

وقد تم استكتاب نخبة متميزة من أهل الاختصاص فى مختلف العلوم طبقًا للموضوعات التى حددتها «اللجنة العليا» للإشراف على هذه الموسوعة، وجاء توزيع ما ورد من مواد على أربعة أقسام رئيسية هى :

أولاً : مقومات البناء الحضارى فى الإسلام.

ثانيًا : الاقتصاد ونظم الحكم والعلاقات الدولية.

ثالثًا : العلوم والتكنولوجيا.

رابعًا : الآداب والفنون.

وقد اعتمدت هيئة التحرير فى إعداد بعض المداخل على إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، كما رُتبت المداخل الخاصة بكل قسم طبقًا للترتيب الهجائى حتى يسهل التعرف على موقعها فى الموسوعة من الفهرس التفصيلى للمحتويات.

وقد ذُيلت الموسوعة بملحق يضم عددًا من الرسوم والصور واللوحات الملونة التى تجسد بعض الإنجازات العلمية والتقنية والفنية للحضارة الإسلامية.

والله نسأل أن ينفع بهذا العمل وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

هيئة التحرير

موسوعة الحضارة الاسلامية, القاهرة ١٤٢٦/٢٠٠٥, ص,
İSAM 146441.

موسوعة الحضارة الاسلامية, القاهرة ١٤٢٦/٢٠٠٥, ص,
İSAM 146441.

مقدمـــة
نظرية الحضارة فى الإسلام

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

«الحضارة» فى اللغة: الإقامة فى الحضر، وهى المدن والقرى والريف، بخلاف البادية.

والحضارة أيضًا: مظاهر الرقى العلمى والفنى والاجتماعى فى الحضر، وبصورة أعم: مظاهر التقدم المادى والتقنى والفنى والعلمى.. إلى آخره.

وقد لوحظ أن هناك تداخلاً كبيرًا فى تناول الفكر الغربى لمفهوم كلمة Civilization التى ترجمت فى اللغة العربية إلى «حضارة» و«مدنية»، مع ملاحظة أن لكل لغة عقلها وإطارها الفكرى الذى يعطى لمفاهيمها دلالات وظلالاً لايمكن أن تتطابق مع لغة أخرى، فهناك من جعل المفهوم مرادفًا لمفهوم كلمة Culture التى تعنى «ثقافة»، وهناك من جعله قاصرًا على نواحى التقدم المادى من آلات واختراعات ومؤسسات .. إلى آخره، وهناك من جعله شاملاً لكل أبعاد التقدم، المادى والمعنوى والروحى، وهناك من قصر المفهوم على نواحى التقدم الخاصة بالفرد، وهناك من رأى أنها تشمل الفرد والجماعة، وهناك من رأى أنها مفهوم عالمى، أى أن هناك دائمًا مفهومًا حضاريًا واحدًا «لحضارة» واحدة من «الحضارة الإنسانية»، وأن كل المجتمعات أسهمت، أو تسهم، فيها بنصيب ما يختلف باختلاف الزمان والمكان، أما «الثقافة» فهى خاصة بكل فرد أو شعب وتعكس هويته التى تميزه عن غيره، وهناك من رأى عكس ذلك.

وبعيدًا عن الخوض فى تفنيد هذه الآراء المتباينة، فإن مفهوم الحضارة الذى ينطبق على خبرة الإسلام، ويستند إلى أحد الاستخدامات التى ذكرها ابن منظور فى «لسان العرب» لمادة «حضر» بمعنى «شهد»، يفيد الحضور كنقيض للمغيب والغيبة، وبهذا تكون «الحضارة هى الحضور والشهادة بجميع معانيها التى ينتج عنها نموذج إنسانى يستبطن قيم التوحيد والربوبية، وينطلق منها كبعد غيبى يتعلق بوحدانية خالق الكون

وواضع نواميسه وسننه والمتحكم فى تسييره ومصيره، ومن ثم فإن دور الإنسان ورسالته هو تحقيق الخلافة عن خالق هذا الكون بتعمير الأرض وتحسينها، وترقية الحياة عليها، وتزجية معاش الناس فيها، وتحقيق تمام التمكين عليها والانتفاع بخيراتها، وحسن التعامل مع المسخرات فى الكون، وبناء علاقة سلام معها؛ لأنها مخلوقات تسبح بحمد الله، أو رزق لابد من حفظه وصيانته، كذلك إقامة علاقة مع بنى الإنسان فى كل مكان على ظهر الأرض، أساسها الأخوّة والألفة وحب الخير، والدعوة إلى كل مايحقق سعادة الدنيا والآخرة.

والجدير بالذكر أن مفهوم «الحضارة» ذو صلة أيضًا بمصطلحات مستحدثة من قبيل «التقدم» و«النهضة» و«التنمية الشاملة» وغيرها، وهى مصطلحات تمثل قضية العصر للإنسان المعاصر، وخاصة فى الدول النامية التى يزيد عدد سكانها عن ٨٠٪ من مجموع سكان العالم.

● **أسس البناء الحضارى فى الإسلام:** إن الأساس الشرعى المتين لأية نظرية حضارية فى الإسلام يقوم على عدم الفصل بين الدين وواقع الحياة، وهو بهذا يتفوق كثيرًا على أية رؤية حديثة أو معاصرة يهيمن عليها العامل الاقتصادى أو العامل العلمى والتقنى، ويتضح هذا الأساس جليًا فى رؤية رفاعة الطهطاوى لمفهوم «الحضارة» المرادف «للمدنيّة» التى تمثل المرحلة الراقية فى التطور الإنسانى، والذى عبر عنه بقوله: «.. ويفهم مما قلناه أن للتمدّن أصلين: معنوىّ؛ وهو التمدن فى الأخلاق والعوائد والآداب، ويعنى التمدّن فى الدين والشريعة، وبهذا القسم قوام الملّة المتمدنة التى تسمى باسم دينها وجنسها للتمييز عن غيرها. والقسم الثانى: تمدن مادى؛ وهو التقدم فى المنافع العمومية».

ولايختلف المنظرون لفكرة الحضارة أو المدنية، أو التقدم، قديمًا وحديثًا على وجود دين متبع يمثل القاعدة الرئيسية من قواعد إصلاح المجتمعات، وركيزة أولى من ركائز التقدم والرقى. وبصرف النظر عن ماهية الدين المتبع، فإنهم يرونه الأقدر على إصلاح دواخل النفوس، وتوحيد الموقف والاتجاه حيال القضايا المختلفة. لكن الأمر فى حالة الإسلام يختلف عن كل ماسواه، فإذا كان «ول ديورانت» صاحب «قصة الحضارة» قد حدد عوامل الحضارة فى أربعة عناصر، اقتصادية، وسياسية، وخلقية، وعقلية، بحيث يشمل العنصر الأخير الآداب والعلوم والفنون، فقد حوت مبادئ الإسلام من القرآن والسنة كل هذه العوامل وزادت عليها،

وإذا كان علماء الحضارات قد ذكروا أن

موسوعة الحضارة الاسلامية, القاهرة ١٤٢٦/٢٠٠٥, ص,
İSAM 146441.

الحضارة لاتنشأ إلا على أساس من تصور الإنسان للكون ولنفسه، وأن الحضارة كُلٌّ مركب يشمل - بالإضافة إلى الجوانب المعرفية والخلقية والاقتصادية والسياسية - مجموعة التقاليد والعادات والقدرات التى يتميز بها الأفراد، والتى يكتسبونها من مجتمعاتهم، فقد وفر الإسلام - القرآن الكريم والسنة المطهرة - كل أسباب النهضة ومكونات الحضارة، بما اشتمل عليه من نظرة متكاملة لأمور الفكر والحياة وفى كل مايهم الإنسان. ويكفى دليلاً على ذلك أنه حوّل عرب الجاهلية من قبائل بدوية متنافرة متدابرة إلى أمة واحدة استطاعت أن تقيم حضارة رائدة ومتميزة، أشعت بنورها على العالمين، واهتدت بهديها جميع الأمم، وحققت انتشارًا ودوامًا متلازمين لم تحققهما أى حضارة أخرى عبر العصور. وتقوم نظرية الحضارة فى الإسلام على عدة ركائز أساسية أهمها:

أولاً: بناء الفرد وتنميته:

ويتحقق ذلك بمراعاة التوازن المطلوب، والوسطية الحكيمة، بين الجانبين المادى والروحى، على النحو الذى يجعل من الفرد لبنة سليمة فى أمة تتحرى الوسطية بين المتقابلات، فتفعل المعروف وتأمر به، وتتجنب المنكر وتنهى عنه. قال تعالى: ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾. [آل عمران ١٠٤].

وتقوم نظرية الحضارة فى الإسلام على هذا الركن الأساسى لأهميته القصوى فى البناء الحضارى، ذلك أن شرف المطلوب بشرف نتائجه، وعظم خطره بكثرة منافعه، وبحسب منافعه تجب العناية به، وعلى قدر العناية به يكون اجتناء ثمرته، ولهذا يتجه العقلاء دائمًا فى أى برنامج إصلاحى إلى المؤسسات التربوية والتعليمية أولاً، لأنها المعنية قبل غيرها بتربية الفرد وتنشئته تنشئة صالحة.

ويحدد التصور الإسلامى أبعاد هذه التنشئة الصالحة فى تنمية ملكات الفرد المعرفية، وتوجيه طاقاته الفكرية والمادية والروحية للارتقاء بحياته وحياة المجتمع الذى يعيش فيه.. ومن تنمية الملكات المعرفية دعوة العقل إلى التأمل والتفكر فى كل مايحيط به أو يتعرض له من أجل فهم أعمق لحقائق الكون والوجود.. قال تعالى: ﴿ **وفى الأرض آيات للموقنين * وفى أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ [الذاريات ٢٠ - ٢١]، وقال سبحانه: ﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** ﴾ [فصلت ٥٣].

وقال جل شأنه: ﴿ **أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وماخلق الله من شيء** ﴾ [الأعراف ١٨٥].

ومن يتأمل الخطاب القرآنى فى الدعوة إلى التأمل والتفكير المنهجى يجد أنه ينزل فى نفوس المؤمنين منزلة الأمر، فالمسألة عندهم إذن مسألة فريضة وتكليف. كما نجد أنه يحذر من معوقات التفكير العلمى السليم ويدعو إلى التحرر من الانقياد الأعمى لآراء السابقين دون رؤية نقدية تلتمس الدليل وإقامة الحجة.

قال تعالى: ﴿ **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئًا ولا يهتدون** ﴾ [البقرة ١٧٠]، وقال تعالى : ﴿ **وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لايعلمون شيئًا ولايهتدون** ﴾ [المائدة ١٠٤]، كما قال سبحانه: ﴿ **أءله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾ [النمل ٦٤]، وقال تعالى: ﴿ **قد جئتكم ببينة من ربكم** ﴾ [الأعراف ١٠٥].

ومن تنمية التفكير العلمى أيضًا الاعتبار بتجارب السابقين، وتقييم أعمالهم، والوقوف على أسباب نجاحاتهم وإخفاقاتهم، اختصارًا لخبرات القرون، فالحضارة الإنسانية حصيلة معارف وعلوم تراكمت عبر السنين، وثمرة جهود متتابعة سمت بالإنسان تدريجيًا على طريق التقدم والرقى، ولهذا فإن القصص القرآنى يقدم الدروس والعبر لمن يريد أن يعتبر من أحداث الماضى ويستنبط الأسرار والعظات التى تعصمه من تكرار الأخطاء التى وقع فيها أسلافه.

وإذا كان الله قد أعطى الإنسان عقله وفكره وزوده بخصائص لاتوجد فى غيره، فما ذلك إلا لأنه اختاره ليكون خليفته فى الأرض .. يحمل أمانة إعمارها، وينشئ أممًا وجماعات يسهل التعارف بينهم. وميزة القرآن الكريم أنه جاء على موعد مع نضج العقل البشرى، فكان المسلمون على مستوى تعاليمه الحضارية، مما جعلها عامة صالحة لكل زمان ومكان، وخالدة باقية عبر القرون، ويزخر القرآن الكريم بالآيات التى تحث على الربط بين الفكر والعمل، وتدعو إلى السعى لكسب الرزق واستخراج خيرات الأرض وكنوزها. قال تعالى: ﴿ **هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها** ﴾ [هود ٦١]، وقال أيضًا: ﴿ **هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه** ﴾ [الملك ١٥]، وقال جل شأنه: ﴿ **وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتًا** ﴾ [الأعراف ٧٤].

ومن ضرورات بناء الفرد وتنميته كذلك إعلاء الجانب الروحى فيه وتذوقه حلاوة الإيمان الخالص بالله على هدى وبصيرة بحيث يكون موصولاً على الدوام بالخالق الواحد الذى سخر له ما فى الأرض قال تعالى: ﴿ **ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره** ﴾ [الحج ٦٥].

ويدخل فى إعلاء الجانب الروحى تثبيت الأسس الأخلاقية التى تهذب سلوك الإنسان؛ وتسمو به إلى درجات العلا، كالرحمة والتسامح والصدق ولين الجانب والصبر والعدل وغيرها.

ثانياً : بناء المجتمع المتوازن :

بقدر ما أعطى الإسلام من أهمية عظمى لبناء الفرد وتنميته، باعتباره ركيزة البناء الحضارى بأكمله، أعطى ثقلاً كبيرًا لبناء نظام اجتماعى متوازن، يحفظ لكل فرد حقه دون إخلال بحقوق الآخرين، ويلبى رغبات الجميع فى تناسق تام لا تطغى فيه احتياجات المجتمع على احتياجات الفرد، ولا تُلغى فيه اجتهادات بنى الإنسان، أو تُكبت طموحاتهم الذاتية، أو تُغفل الفروق الشخصية بينهم، ففى النظام الإسلامى تلتقى الفردية والجماعية على نحو تتكافأ فيه الحقوق والواجبات، وتتوزع فيه الخيرات والتبعات بالقسطاس المستقيم. قال تعالى: ﴿ **والسماء رفعها ووضع الميزان * ألا تطغوا فى الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان** ﴾ [الرحمن ٧ - ٩]، ومثل هذا النظام الاجتماعى المتوازن لا يقدر الإنسان على إنشائه بعقله المحدود، وعلمه القاصر، فضلاً عن تأثير ميوله ونزعاته الشخصية، وما جُبل عليه من اتخاذ مواقف متحيزة من حيث يشعر أو لا يشعر. ولهذا فإن المناهج التى يضعها البشر لأنفسهم لا تخلو من إفراط أو تفريط، حيث تدلنا قراءة التاريخ على أنها غالبًا ما تخضع لأيديولوجيات خاصة لمصلحة فرد أو جماعة، ويكفى دليلاً على ذلك ما نراه من صراع فى عالمنا المعاصر بين مذهب فردى خالص أو مذهب جماعى خالص، وكلاهما لم يحقق الاستقرار والأمان للإنسان على الأرض. ذلك هو شأن فلسفات البشر ومذاهبهم وديانتهم المحرفة.

أما الإسلام - وهو دين الفطرة - فهو الذى يراعى جانبى الفطرة الإنسانية ذات الطبيعة المزدوجة: الفردية والجماعية فى آن واحد، لا يجور على الفرد على حساب المجتمع، ولا يحيف على المجتمع من أجل الفرد. لا يدلل الفرد بكثرة الحقوق التى تمنح

موسوعة الحضارة الاسلامية, القاهرة ١٤٢٦/٢٠٠٥, ص,
İSAM 146441.

له، ولا يرهقه بكثرة الواجبات التى تلقى عليه، وإنما يكلفه من الواجبات فى حدود وسعه، دون حرج أو إعنات، ويقرر له من الحقوق ما يكافئ واجباته، ويلبى حاجاته، ويحفظ كرامته، ويصون إنسانيته.

(أ) الجانب المالى والاقتصادى:

ومن أسس بناء المجتمع المتوازن فى الإسلام معالجة الجانب المالى والاقتصادى على نحو يسمح بترك أبواب الكسب الحلال مفتوحة على مصراعيها، مع المطالبة بأداء حقوق الله فيها، وسد حاجات غير القادرين، وتأمينهم اجتماعيًا من الفقر، وكفاية حاجاتهم الضرورية. قال تعالى: ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب** ﴾ [البقرة ١٧٧]، وحذر القرآن الكريم من الاستئثار بالثروة الذى يستتبع الاستئثار بالنفوذ، فقال تعالى: ﴿ **ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم** ﴾ [الحشر ٧].

وضرب مثلاً تحذيريًا بما حدث لبعض الأغنياء الذين منعوا حق الله والفقراء فقال تعالى: ﴿ **إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين * ولا يستثنون * فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصريم * فتنادوا مصبحين** ﴾ [القلم ١٧ - ٢١]، وقد لمح أحد المستشرقين هذا المعنى فقال: وجدت حل المسألتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم طرًا: الأولى فى قول القرآن: ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ [الحجرات ١٠]، والثانية فى فرض الزكاة على كل ذى مال. وقال آخر عن الزكاة: «كانت هذه الضريبة فرضًا دينيًا.. وهى نظام اجتماعى عام، ومصدر تدخر به الدولة ما تمد به الفقراء وتعينهم.. وهذا النظام البديع كان الإسلام أول من وضع أساسه فى تاريخ البشرية عامة.. وكان من نتيجة ذلك أن هدم السياج الذى كان يفصل بين جماعات الدولة الواحدة، وتوحيد الأمة فى دائرة اجتماعية عادلة، ووضع نظام لا يقوم على أسس الأثرة البغيضة».

ومن أخلاقيات الزكاة والصدقات فى الإسلام الحد من استعلاء الغنى ونهيه عن المن على الفقير ... قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى** ﴾ [البقرة ٢٦٤]، لأن المال مال الله: ﴿ **وآتوهم من مال الله الذى آتاكم** ﴾ [النور